الفصل السابع

ادعاء العلم بالغيب .. وانكشاف الحجب

قضية الغيب .. من أخطر القضايا التى اهتم بها الاسلام .. وحرص القرآن الكريم فى كثير من آياته على تأكيد انفراد الله وحده بعلم الغيب . .

يقول تعالى : **« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم »**[1] .

ويقول جل شأنه : **« ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله »**[2] .

فالله تعالى .. هو الاله المعبود الذى لا تنبغى العبادة والألوهية الا له .. وهو عالم غيب السموات والأرض ، وشاهد ما فيهما مما يرى أو يحس .. وهو رحمن الدنيا والآخرة ، الرحيم بأهل الايمان خاصة ..

وعنده تعالى خزائن الغيب .. وله وحده علم ما غاب عن خلقه فلم يدركوه مما استأثر تعالى بعلمه .. فلا يعلم من ذلك شيئا الا هو سبحانه ..

ولله وحده ملك ما غاب وخفى فى السموات والأرض .. وكل ما فيهما بيده وبعلمه ، لا يخفى عليه منه شىء ، واليه وحده معاد كل عامل من خلقه .. فيقضى بين عباده بحكمه وعدله ..

الله وحده .. هو الذى يملك مفاتح الغيب ، ولا يملكها أحد سواه ..

وهو وحده الذى يعلم ما فى البر وما فى البحر ..

---

(١) الحشر : ٢٢ (٢) هود : ١٢٣

وهو وحـــده الذى يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ..

وهو وحـــده الذى يعلم متى تقوم الساعة .. ويعلم آجال الناس وأرزاقهم .. والناس لا يدرون ماذا يكسبون فى غدهم ، ولا يعرفون متى تحين آجالهم ، ولا بأى أرض يموتون ..

يقول تعـــالى : « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتـــاب مبين . وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مســـمى ، ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** »[٣] .

أى أنه تعالى يملك خزائن الغيب ، وعنده علم ما غاب عن خلقه فلم يدركوه ، مما استأثر تعالى بعلمه ، لا يعلم ذلك الا هو .. ويعلم أيضا كل ما حواه البر والبحر ، ولا يخفى عليه شىء منه ، وما تسقط من ورقة فى الصحارى والبرارى ، ولا فى القرى والأمصار ، الا والله يعلمها .. ولا شىء مما هو موجود أو سيوجد ، الا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ مكتوب فيه .. وهو تعالى يتوفى أرواحنا بالليل فيقبضها من أجسادنا ، ويعلم ما كسبنا من الأعمال بالنهار .. [وفى هذه الآية احتجاج على المشركين الذين ينكرون قدرته تعالى على احيائهم بعد مماتهم ، وبعثهم بعد فنائهم ، فان الذى يقبض أرواحهم فى المنام ويبعثهم فى النهار ، قادر على احيائهم بعد مماتهم ورد أرواحهم الى أجسادهم] ثم يوقظنا تعالى من منامنا فى النهار لنبلغ المدة التى حددها لحياتنا .. ثم اليه تعالى معادنا ومصيرنا ، ثم يخبرنا بأعمالنا ويجازينا عليها .. ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ..

ثم يقول تعالى : « **وهو القاهر فوق عباده** »: أى أنه تعالى هو الغالب على خلقه ، العالى عليهم بقدرته .. لا المقهور المغلو عليه لذلته .. كأوثانهم وأصنامهم وكل ما عبد من دون الله ..

---

(٣) الأنعام : ٥٩ ، ٦٠.

ويقول جل شأنه : « **الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهـار** »(٤) .

أى أنه تعالى يعلم ما تحمل كل أنثى من خلق الله ، أذكر هو أم أنثى ، وما تنقصه الأرحام من حملها فى الأشهر التسعة ، وما تزداد على هذه الأشهر ، والظاهر — والله أعلم أن المراد بالغيض السقط والولادة لأقل من تسعة أشهر ، والزيادة ابقاؤه أكثر من تسعة أشهر .. وكل شيء عند الله تعالى بقدر محدد ، لا يجاوزه ولا يقصر عنه .. فهو تعالى يعلم ما خفى عن الأبصار وما تشاهده الأبصار .. وهو الكبير الذى كل شيء دونه ، المستعلى على كل شيء بقدرته .. ويتساوى عنده تعالى من أخفى القول منا ومن جهر به ، ومن هو مستخف بمعصية الله فى ظلمة الليل ومن هو ظاهر بالنهار فى ضوئه .. لا يخفى عليه شيء من ذلك .. فالسر والجهر عنده سواء ، والمستخفى فى بيته والخارج بالنهار عنده سواء ..

ويقول جل وعلا : « **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير** »(٥) .

فالله تعالى — وحده — الذى يعلم الساعة التى تقوم فيها القيامة ، لا يعلم ذلك أحد غيره .. وينزل المطر من السماء ، لا يقدر على ذلك غيره .. وهو وحده يعلم ما فى أرحام الاناث .. وما تعلم نفس حى ماذا تعمل فى غد .. وما تعلم نفس حى بأى أرض تكون منيتها .. ان الذى يعلم ذلك كله هو الله .. دون كل أحد سواه ، لأنه عالم بكل شيء .. خبير بما هو كائن وما قد كان .. وهذه هى المغيبات الخمس التى استأثر الله عز وجل بعلمها ، وفى الحديث الصحيح : « مفاتح الغيب خمس ، لا يعلمهن الا الله » ... وتلا الآية . (أخرجه البخارى)..

---

(٤) الرعد : ٨ — ١٠ (٥) لقمان : ٣٤

ويقول سبحانه : « **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين** »(٦) .

فما يغيب عنه تعالى ، ولا يخفى عليه أصغر الأشياء ولا أكبرها ، من زنة النملة الصغيرة أو ذرة التراب أو الهباءة — التى تدخل من كوة النافذة مع شعاع الشمس — لا فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من مثقال الذرة ولا أكبر منها .. الا هو فى كتاب عند الله واضح هو اللوح المحفوظ .. يخبرنا تعالى أنه لا يخفى عليه أصغر الأشياء وان خف فى الوزن ، ولا أكبرها وان ثقل وزنه .. وأنه لا يغيب عنه تعالى علم شىء من خلقه ، حيث كان فى سمائه وأرضه ..

فالله تعالى .. هو وحده العليم بالأشياء كلها ..

وهو وحده : السميع .. وسمعه تعالى بلا أذن وبلا اهتزاز للهواء .. يسمع — سبحانه — ما فى البحر ، وما فوق السموات حيث لا هواء ولا اهتزاز . يسمع القريب والبعيد — القريب منا نحن والبعيد عنا ، اذ لا بعيد عنه أو قريب منه — لأنه سبحانه موجود فى كل الوجود ..

انه تعالى يسمع ما يجول بخاطر الانسان .. فهو يسمع ما لم يتحدث به من حديث أم يصل بعد الى طور الكلمات ، ولم يخرج بعد الى حيز الأصوات .. سبحانه وتعالى هو السميع العليم ، فلا تخفى عليه تعالى أصوات خلقه فى سمائه أو أرضه .. فهو المدرك للمسموع وان خفى ، لا يفوت سمعه شىء .. ولا يشغله نداء عن نداء ..

وهو وحده الذى يسمع النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، فى الليلة الظلماء ..

والله تعالى .. هو البصير .. وبصره تعالى يختلف عن بصرنا .. فنحن عندما نرى ، فلنعرف ما لم يسبق لنا معرفته ، أو لنزداد به معرفة وعلما .. فكلما رأينا عرفنا أكثر ..

ولكنه سبحانه وتعالى سبق فى علمه ما يراه .. فما يراه يعلمه ، وما يعلمه يراه .. ولا يسبق أحدهما الآخر ..

---

(٦) يونس : ٦١

ونحن نرى بقدر ما تمكنه لنا أجهزة البصر ، وهى العيون .. ولكنه جل شأنه تعالى عن الشبه ، وتنزه عن المثل .. فلا عين له ولا جهاز يرى به .. ولكنه يرى بقدرته ، وقدرته لا تحد .. ويرى بعظمته ، وعظمته لا تنتهى .. ولذلك فهو يرى ما خفى وما ظهر ، وما وضح وما استتر ، فلا يخفى عليه خافية ، ولا يحتجب عنه أى مستتر .

والله تعالى لا يحد بصره حدود .. فهو سبحانه الذى يشاهد ويرى . ولا يغيب عنه ما فى السموات العلا ، وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى .. وهو سبحانه الحاضر الذى لا يغيب ..

والله تعالى .. هو اللطيف الخبير ..

لطيف .. يفيض بالخير كل الخير على عباده برفق ورحمة ..

لطيف .. عليم بدقائق الأمور ، خافيها وباطنها .. فهو وحده العليم بخفيات الأمور .. البر بعبـــاده الذى يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويهىء مصالحهم من حيث لا يحتسبون .

خبير .. يسمع ويبصر ويعلم .. وبعلمه الذى احتوى الوجود وما قبله وما بعده .. يأمر فيكون .. وما أمره فى كل الكون ووحدانه ، والانسان فى مختلف حالاته ، الا لأنه الخبير ..

خبير .. يعلم الخير فيما أراد ، مما يصلح الوجود والعباد ..

خبير .. يعلم من الانسان كل ما يعمل .. ويعلم كل الجوانب والدوافع والأهداف والنوايا التى كانت فى الانسان فى عمله ، وكانت منه فى صنعه ..

خبير .. لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا تتحرك حركة ولا تسكن ساكنة فى الســموات والأرض الا ويعلم مستقرها ومستودعها ..

الله تعالى وحده على كل شىء قدير ، لا يعجزه شىء .. أى شىء ..

وفى استطاعته جل شأنه أن يفعل ما يشاء ، كيف يشاء وأنى يشاء .. لا يتقيد فى ذلك بأسباب ، ولا يأخذ الأمر منه أى جهد أو حساب ..

وهو وحده .. الذى يعلم غيب السموات والأرض .. عالم الغيب والشهادة ، هو الكبير المتعال ..

يقول تعـالى : « **قل لا يعلم من فى السـموات والأرض الغيب الا الله** »[٧] .. يستوى فى ذلك الملائكة ، والأنبياء والرسل ، والانس ، والجن[٨] ..

● الملائكة .. لا تعلم الغيب ، يقول تعـالى : « **وإذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسـفك الدماء ونحن نسـبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلـم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسـماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسـماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** »[٩] .

قال تعالى للملائكة : انى مستخلف فى الأرض خليفة ، يخلفنى فى الحكم بين خلقى — وذلك هو آدم — فقالت الملائكة — على سبيل الاسترشاد والاستخبار ، لا على سبيل الاعتراض والانكار — : أتعلمنا ياربنا ، أتجاعل أنت فى الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ؟ ونحن نعظمك بالحمد لك والشكر ؟ — والتسبيح هو التنزيه ، والقديس هو التطهير والتعظيم — فقال تعالى : انى أعلم ما خفى عليكم من شأن آدم وابليس .. وأعلمه تعالى أسماء كل شىء ، أسماء ذريته وأسماء الملائكة ، ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة قائلا : أخبرونى بأسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليكم أيها الملائكة ، ان كنتم

---

(٧) النمل : ٦٥

(٨) أفضنا فى شرح هـذه المسألة فى الفصـل الخامس من كتابنا : « من وصايا القرآن الكريم » الذى قامت بطبعه ونشره دار التراث العربى فليرجع اليه من يشـاء .

(٩) البقرة : ٣٠ — ٣٣

صـــادقين فى دعواكم أنكم ان اســـتخلفتكم فى أرضى ســـبحتمونى وقدستمونى ، وان استخلفت فيها غيركم عصانى ذريته ، وأفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء •• فقالت الملائكة : نسبحك ياربنا تسبيحا ، وننزهك تنزيها ، ونبرئك من أن نعلم شيئا غير ما علمتنا ، فأنت ياربنا وحدك العالم للغيوب دون جميع خلقك ، ذو الحكمة التامة •• فقال تعالى : ياآدم ، أخبر الملائكة بأسماء هؤلاء الذين عرضتهم عليهم فلم يعرفوهم •• فلما أخبرهم آدم بأسمائهم قال لهم ربهم عز وجل : ألم أقل لكم ــ أيها الملائكة ــ انى أعلم غيب جميع السموات والأرض ، لا يعلمه غيرى ، وأعلم ما تظهرون بألسنتكم من قولكم « **أتجعل فيهـــا من يفسد فيهـــا** » ؟ وما كنتم تخفونه فى أنفسكم من قولكم : « لن يخلق ربنا خلقا الا كنا نحن أعلم منه وأكرم » •• فأنا وحدى لا يخفى على أى شىء من الأشـــياء ••

وانا أن نتساءل •• هل لو كانت الملائكة تعلم الغيب ، أكانت تعجز عن معرفة الأسماء التى علمها الله تعالى لآدم ، فى حين أن مسمياتها كانت معروضة عليهم ؟ ! •• بل انهم عجزوا حتى عن قراءة أفكار آدم عليه السلام وكانت هذه الأسماء قد انطبعت على صفحتها •• ولهذا لم يجدوا الا أن يقولوا : « **سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا** » •• ويرد عليهم تعالى بقوله : «**ألم أقل لكم أنى أعلم غيب السموات والأرض** » •

● والرسل الكرام •• الذين اصطفاهم الله تعالى ، وأرسلهم الى الناس بالهدى والايمان مبشرين ومنذرين •• هؤلاء الرسل لا يعلمون الغيب ، الا ما ارتضاه الله لهم ، وأوحاه اليهم ليكون دليلا على صدق رســـالتهم ••

يقول الامام الذهبى فى تفسير قوله تعالى : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا • الا من ارتضى من رسول** »(١٠) : قال ابن الجوزى : « **عالم الغيب** » هو الله عز وجل ، لا شريك له فى ملكه •• « **فلا يظهر** » أى : فلا يطلع « **على غيبه** » الذى لا يعلمه أحد من الناس « **الا من**

---

(١٠) الجن : ٢٦ ، ٢٧

ارتضى من رسول » لأن الدليل على صدق الرسل اخبارهم بالغيب .. والمعنى : أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب .. وفى هذا الدليل على من زعم أن النجوم تدل على الغيب ، فهو كافر والله أعلم »[١١] .

● يقول جل شأنه عن آدم عليه السلام : « **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين . وقلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »[١٢] .

يقول تعالى : اذكروا فعلى بكم اذ أنعمت عليكم فخلقت لكم ما فى الأرض جميعا ، فقلت للملائكة : انى جاعل فى الأرض خليفة ، فكرمت أباكم « آدم » بما آتيته من علمى وفضلى وكرامتى .. وأسجدت له ملائكتى فسجدوا جميعهم الا ابليس امتنع عن السجود لآدم ، وتكبر عن طاعة الله ، وكان من الجاحدين لنعم الله ، الكافرين بالله حين أبى السجود ، — فسجود الملائكة لآدم تكرمة له وطاعة لله ، لا سجود عبادة لآدم — وقال تعالى : ياآدم اسكن مع زوجتك فى جنة الخلد وكلا من ثمار الجنة أكلا واسعا هنيئا لا عناء فيه ولا تعب .. كلا من أى مكان شئتما فيها ، ولكن لا تقربا هذه الشجرة — وعينها لهما — انكم ان فعلتم وأكلتم من ثمارها تكونا من المتعدين حدود الله .. فاستزلهما الشيطان وأوقعهما فى الخطيئة والزلل عن طاعة الله وأغواهما فأكلا منها .. فأخرج الله تعالى آدم وزوجته مما كانا فيه من رغد العيش وسعة نعيم الجنة .. وقال لهما ولابليس : اهبطوا الى الأرض ،

---

(١١) الكبائر ، للامام الذهبى — نشر دار التراث العربى ، ص ٢٥

(١٢) البقرة : ٣٤ — ٣٨

بعضكم أعداء بعض ولكم فى الأرض منازل ومساكن تستقرون عليها ، واستمتاع بما فيها من المعاش والرياش ، والزينة واللذة الى حين انقطاع الدنيا .. ثم أوحى تعالى لآدم بكلمات يقولهن ليتوب عليه فقبلهن وعمل بهن وهى قوله : « **ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** »(*) .. فتاب ربه عليه حين تنصل من خطيئته نادما على ما سلف من الذنب ، لأنه تعالى التواب على من تاب من ذنبه ، المتفضل بالرحمة والصفح عن الجرم .. وكان حكمه تعالى وقضاؤه : اهبطوا جميعا — آدم وحواء وابليس — من السماء الى الأرض ، فان يأتكم — يابنى آدم — منى بيان ورشاد ، فمن اتبع بيانى الذى أبعثه على لسان رسلى ، فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة ، ولا هم يحزنون على ما فاتهم فى الدنيا ..

ونقول : لو كان آدم عليه السلام يعلم الغيب .. هل كان يأكل من الشجرة التى حرمها الله عليه ، فى حين أن خروجه من الجنه مترتب على أكله منها ؟ !

● ويقول تعالى عن نوح عليه السلام : « **وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون** »(١٢) .

أوحى تعالى ذلك اليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك ، والمعنى : لن يصدق بك ويتبعك على دعوتك الا من قد آمن من أتباعك ، فلا تأس ولا تحزن عليهم ، فانى مهلكهم ومنتقذك منهم ، واصنع السفينة كما نأمرك تحت نظرنا وبحفظنا ، وبتعليمنا لك كيف تصنعها .. ولا تسألنى العفو عن هؤلاء الظالمين فانى مغرقهم بالطوفان ..

فلما جاء وعد الله بالطوفان ، وفار تنور الخبز الذى جعل الله فورانه علامة على مجىء العذاب .. وأهلك الله الكافرين وفى عدادهم

(*) الأعراف : ٢٣ (١٢) هود : ٣٦ ، ٣٧

كنعان بن نوح الذى عصى أباه وهلك مع الهالكين .. نادى نوح ربه قائلا : **« رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »**[١٤] .

يقول نوح عليه السلام لربه : يارب ، ان ابنى من أهلى وقد وعدتنى بنجاتهم ، ووعدك الحق الذى لا يخلف ، وأنت الحاكم بالحق ، فاحكم لى بما وعدتنى من نجاة أهلى . فقال تعالى : انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ، انه عمل عملا غير صالح ، لقد أخبرتك عن سبب اهلاكى ابنك ، فلا تسألنى بعدها عما قد طويت علمه عنك ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين فى سؤالك هذا .. فقال نوح : أستجير بك يارب أن أتكلف مسألتك مما قد استأثرت بعلمه ، وان لم تغفر لى زلتى ، وتنقذنى من غضبك ، أكن من الهالكين ..

لو كان نوح عليه السلام يعلم الغيب .. هل كان يراجع ربه فى أمر ابنه ، فى حين أنه مكتوب فى عداد العاصين الهالكين ؟ !

● ويقول جل وعلا عن ابراهيم عليه السلام : **« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط »**[١٥] .

جاءت الملائكة ابراهيم بالبشارة ، تبشره باسحاق — وقيل تبشره بهلاك قوم لوط — فسلموا عليه سلاما . قال : عليكم السلام ، فما تأخر حتى جاءهم بعجل مشوى نضيج وقربه اليهم ليأكلوا .. فلما رأى أنهم لا يأكلون من الطعام الذى قدم اليهم أنكر ذلك عليهم ، وأحس منهم فى نفسه خوفا .. قالت الملائكة : لا تخف منا فانا ملائكة ربك ، أرسلنا الى قوم لوط لاهلاكهم ..

---

(١٤) هود : ٤٥ — ٤٧ (١٥) هود : ٦٩ ، ٧٠

لو كان ابراهيم عليه السلام يعلم الغيب .. أكان يذبح العجل للملائكة وهو يعلم أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ؟ !

● ويقول تعالى عن لوط عليه السلام : « **ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد . قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد . قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك ، فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك ، انه مصيبها ما أصابهم ، ان موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب** »(١٦) .

لما جاءت الملائكة لوطا ساءه مجيئهم ، وضاقت نفسه غما بمجيئهم ، خوفا على ضيوفه من قومه الفجار أن يفحشوا بهم ، لأنه لم يعرف أنهم ملائكة .. وقال : هذا يوم بلاء وشدة ، شديد شره وبلاؤه . وجاء قوم لوط يسرعون اليه ويهرولون طلبا للفاحشة — وكان أولئكم القوم يأتون الذكران فى أدبارهم — قال لهم لوط : ياقوم هؤلاء النساء انكحوهن فهن أطهر لكم ، واخشوا الله وخافوا عقابه ، ولا تذلونى فى ارتكاب الفاحشة فى ضيوفى ، أليس فيكم — أيها القوم — رجل فيه رشد ينهى عن المنكر ؟ ! .. فقالوا له : لقد علمت أنه لا رغبة لنا فى النساء ولا مطمع لنا فيهن ، وانك لتعلم أن حاجتنا فى غير النساء ، وأننا نريد الرجال .. قال لهم لوط حين أبوا الا الفاحشة : لو أن لى أنصارا وأعوانا يعينونى عليكم ، أو أنضم الى عشيرة مانعة تمنعنى منكم ؟! — لو كان هذا أو ذاك لحلت بينكم وبين ما تريدونه فى أضيافى .. فقالت الملائكة : يالوط ، انا رسل ربك ، أرسلنا لاهلاك قومك ، وانهم لن يصلوا اليك ولا الى ضيفك بمكروه ، فهون عليك الأمر ، فاذا كان الليل فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ، ولا ينظر منكم أحد وراءه

---

(١٦) هود : ٧٧ — ٨١

الا امرأتك فلا تخرج بها لأنها على شريعة قومها وسيصيبها ما أصاب قومك من العذاب ، وان موعد هلاكهم الصبح •• فقال لوط : بل عجلوا لهم الهلاك •• فقالوا : أليس الصبح بقريب ؟ !

لو كان لوط عليه السلام يعلم الغيب •• هل كان يقف ذلك الموقف العصيب مستميتا فى الدفاع عن أضيافه ضد رغبة قومه الآثمة ، فى حين أنهم ملائكة أرسلهم الله لاهلاك أولئكم القوم ؟ !

● ويقول جل شأنه عن يعقوب عليه السلام : **« قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ، أنه هو العليم الحكيم • وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم • قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين • قال انما أشكوا بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون • يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »**[١٧] •

عاد اخوة يوسف عليه السلام بعد أن تركوا أخاهم « بنيامين » فى مصر فى كنف أخاه يوسف عليه السلام •• وقالوا لأبيهم : يا أبانا ان ابنك بنيامين قد سرق وأخذ بسرقته •• فقال لهم : بل زينت لكم أنفسكم أمرا أردتموه ، فصبرى صبر جميل لاجزع فيه ولاشكاية فلعل الله أن يرد أولادى على جميعا فهو وحده العالم بأمرى الحكيم فى تدبيره •• وأعرض عن أولاده وقال : ياحزنا على يوسف بعد أن هيج فقد بنيامين حزنه على أخيه وذكره بمصابه الأول فالأسى يبعث الأسى •• وابيضت عينا يعقوب من شدة الحزن ففقد بصره بعد أن امتلأ قلبه بالحزن والكمد •• فقال له أولاده : نقسم بالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون ضعيف الجسم مخبول العقل أو تكون من الهالكين بالموت •• فقال لهم : لا أشكو همى وحزنى الا الى الله وحده ، وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة ، وأنى سأسجد له •• اذهبوا الى الأرض التى تركتم

---

(١٧) يوسف : ٨٣ — ٨٧

بها أخوكم بنيامين وتعرفوا خبره وخبر أخوه يوسف .. ولا تقنطوا من رحمـــة الله أن يرد علينا يوسف لأنه لا يقنط من فرجه ورحمته الا القوم الجاحدون بقدرته ..

فى هذا الوقت .. كان يوسف عليه السلام وزيرا على مصر .. وكان أخاه بنيامين فى كنفه ورعايته .. فهل كانت عينا أبوهما تبيضان ويكف بصرهما من الحزن والبكاء عليهما وهذا هو حالهما ؟ !

● ويقول تعالى عن موسى عليه السلام : **« فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما آتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين . وأن ألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، ياموسى أقبـــل ولا تخف ، انك من الآمنين »**(١٨) .

لمـــا وفى موسى لشعيب ــ عليهما السلام ــ الأجل الذى كان بينهما .. سار بأهله مسافرا بهم الى مصر ، فأبصر من جانب الجبل نارا تتقد ، فقال لأهله : انتظروا فقد أبصرت نارا لعلى آتيكم منها بخبر عن الطريق الذى أضللناه ، أو آتيكم بقطعة من الحطب فيها النار تستدفئون بها من البرد .. فلما وصل ــ عليه السلام ــ النار ، ناداه الله تعالى من جانب الوادى الذى هو عن يمين موسى فى ذلك المكان المبارك عند الشجرة : بأننى أنا الله رب العالمين ، اطرح عصاك التى تحملها فألقاها .. فلما رآها تتحرك كأنها جان من الحيات ، ولى هاربا منها ولم يرجع على عقبه ، فنودى : أقبل ولا تخف من الذى تهرب منه ، فانك فى أمان من أن يضرك ..

ونقول : لو كان موسى عليه السلام يعلم الغيب ، أكان يفزع ويفر من عصاه فى حين أنها ستعود عصاً كما كانت ؟ !

---

(١٨) القصص : ٢٩ ــ ٣١

● ويقول جل شـــأنه عن داوود عليه السلام : « **وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب • اذ دخلوا على داوود ففزع منهم ، قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحـــق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط • ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب • قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب • فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** »[١٩] •

يقول تعالى لنبيه : هل أتاك يامحمد خبر الخصم اذ دخلوا أشرف مكان فى دار داوود من غير بابه ، فلما دخلوا عليه خاف من دخولهما من غير المدخل فقالوا له : لا تخف ياداوود ، نحن خصمان ، تعدى أحدنا على صاحبه بغير حق فاقض بيننا بالعدل ولا تجر ، ولا تسرف فى حكمك بالميل مع أحدنا على صاحبه ، وأرشدنا الى قصد الطريق المستقيم •• ثم قال أحدهما : هذا أخى فى الدين ، له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة •• فقال لى : انزل لى عنها وضمها لى ، وغلبنى فى مخاطبته لأنه أبين حجة ، وأشد قوة •• فقال داوود عليه السلام الخصم المتظلم من صاحبه : لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الشركاء ليعتدى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا بالله وعملوا بطاعته ، وانتهوا الى أمره ونهيه فلم يتجاوزوه وقليل ما تجدهم •• ثم علم داوود عليه السلام أن الله قد ابتلاه بارسال الملائكة اليه على هذا النحو •• فسأل ربه غفران ذنبه وخر ساجدا لله ، وتاب عن خطيئته •• فعفى الله عنه وصفح له عن خطيئته ، ووعده بالقربى منه يوم القيامة ، وبحسن المرجع والمنقلب ينقلب اليه[٢٠] •

---

(١٩) سورة ص : ٢١ ــ ٢٥

(٢٠) يقول ابن كثير ــ رحمه الله : قد ذكر المفسرون ههنا قصـــة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم حديث يجب اتباعه ، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يرد علمها الى الله عز وجل ، فان القرآن حق ، وما تضمن حق .

هل كان داوود عليه السلام — لو كان يعلم الغيب — يجلس للقضاء بين الخصمين ، وقد أرسلا فتنة له فلم يعرف أنهما من رؤساء الملائكة ؟ !

● ويقول تعالى عن سليمان عليه السلام : « **وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين · لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين · فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين · انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم · وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون · ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون · الله لا اله الا هو رب العرش العظيم** »[٢١] ص

جمع لسليمان عليه السلام جنوده من جميع الأجناس فى مسير لهم ، وتفقد عليه السلام أنواع الطير فقال : ما الذى جعلنى لا أرى الهدهد ؟ أأخطأ بصرى فلم أره وقد حضر ؟ أم هو غائب لم يحضر ؟ .. فلما أخبر أنه غائب أقسم ليعذبن الهدهد عذابا شديدا أو ليقتلنه ان لم يأته بحجة واضحة تبين لسامعها صحتها .. فمكث سليمان وقتاً قصيراً حتى جاءه الهدهد .. فسأله عليه السلام عن تخلفه وغيبته .. فقال : أحطت بعلم لم تحط به أنت ، وجئتك من سبأ بخبر يقين .. لقد وجدت امرأة تملك سبأ ، وقد أوتيت كل شىء فى الدنيا من العتاد والآلة ، ولها عرش عظيم من ذهب قوائمه من الجوهر واللؤلؤ ، ووجدت هذه المرأة وقومها يعبدون الشمس فيسجدون لهـا ، وحسن لهم ابليس عبادتهم هذه فمنعهم بذلك أن يتبعوا دين الله الحق ، فهم لا يهتدون له ولا يسلكونه .. زين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله الذى يخرج المخبوء فى السموات والأرض من الغيث والنبات ، ويعلم السر من أمور خلقه والعلانية .. فهو وحده الذى لا معبود سواه ، ولا تصلح العبادة الا له ، مالك العرش العظيم .. الذى كل عرش — وان عظم — فدونه ..

---

(٢١) النمل : ٢٠ — ٢٦

أكان سليمان عليه السلام — لو كان يعلم الغيب — يبحث عن الهدهد حين لم يجده بين الطير فيتوعده بأشد العقاب ، وهو فى سبأ يطالع من أحوالها ما يجهل ؟ !

● ويقول جل شأنه عن مريم ابنة عمران : **« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا • قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا »**(٢٢) ••

يقول الله لنبيه : واذكر فى كتاب الله المنزل مريم ابنة عمران حين انفردت واعتزلت عن أهلها ، فى موضع قبل مشرق الشمس ، فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عن الناس فأرسلنا اليها جبريل ، فتشبه لها فى صورة آدمى معتدل الخلقة •• فقالت : انى أستجير بالرحمن منك أن تنال منى ما حرمه الله عليك ان كنت تتقى محارم الله — خافته مريم وظنته رجلا يريدها على نفسه بفعل الفاحشة — فقال لها جبريل : انما أنا رسول ربك يامريم أرسلنى اليك لأمنحك غلاما طاهرا من الذنوب ••

نقول : لو كانت مريم عليها السلام تعلم الغيب •• أكانت تفزع وتتعوذ من جبريل عليه السلام ، فى حين أنه روح الله أرسله اليها بالبشرى ؟ !

● وحادثة الافك •• وما أدراك ما حادثة الافك ؟ !

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ اذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه •• فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ، فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب •• فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه ، فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله ﷺ فى غزوته تلك وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل ••

---

(٢٢) مريم : ١٦ — ١٩

فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شـــأنى أقبلت الى رحلى .. فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع .. فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاؤه .. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت وهم يحسبون أنى فيه ..

وكان النساء اذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم ، انما تأكل العلقة من الطعام .. فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ..

فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب .. فأممت منزلى الذى كنت به ، وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى .. فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت ..

وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش ، فأدلج فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد انسان نائم ، فأتانى فعرفنى حين رآنى — وكان يرانى قبل الحجاب — فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخمرت وجهى بجلبابى ، والله ما كلمنى كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فركبتها .. فانطلق يقود بى الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة .. فهلك من هلك .. وكان الذى تولى الافك عبد الله ابن أبى بن سلول ..

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا .. والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك ، لا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى ثم ينصرف ، فذاك الذى يريبنى ولا أشعر ..

حتى خرجت بعد ما نقهت .. فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع انى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذى كان فيه حين أشتكى .. انما يدخل على رسول الله ﷺ فيسلم ، ثم يقول : كيف تيكم ؟ .. — وهو متبرزنا — وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ

الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول فى التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ..

فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة .. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى ، قد فرغنا من شأننا .. فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت : تعس مسطح ..

فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلا شهد بدرا ؟

قالت : أى هنتاه .. أو لم تسمعى ما قال ؟

قلت : وما قال ؟ .. فأخبرتنى بقول أهل الافك ، فازددت مرضا على مرضى .. فلما رجعت الى بيتى ودخل على رسول الله ﷺ — تعنى سلم — ثم قال : كيف تيكم ؟ .. فقلت : أتأذن لى أن آتى أبوى ؟

قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ..

قالت : فأذن لى رسول الله ﷺ ، ، فجئت أبوى ، فقلت لأمى : ياأمتاه ، ما يتحدث الناس ؟

قالت : يابنية ، هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجلها يحبها ولها ضرائر ، الا أكثرن عليها ..

فقلت : سبحان الله .. ولقد تحدث الناس بهذا ؟ !

قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى أصبحت أبكى ..

فدعا رسول الله ﷺ علياً بن أبى طالب ، وأسامة بن زيد رضى الله عنهما — حين استلبث الوحى — يستأمرهما فى فراق أهله ..

قالت : فأما أسامة بن زيد .. فأشار على رسول الله ﷺ بالذى يعلم من براءة أهله ، وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود .. فقال : يارسول الله ، أهلك .. وما نعلم الا خيرا ..

وأما على بن أبى طالب .. فقال : يارسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثيرا ، وان تسأل الجارية تصدقك (!!)

قالت : فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : أى بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟

قالت بريرة : لا والذى بعثك بالحق .. ان رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن فتأكله !!

فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبى بن سلول .. قالت : فقال رسول الله ﷺ وهـو على المنبر : « يامعشر المسلمين ، من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا ، وما كان يدخل على أهلى الا معى » ..

فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : يارسول الله ، أنا أعذرك منه .. ان كان من الأوس ضربت عنقه ، وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ..

قالت : فقام سعد بن عبادة — وهو سيد الخزرج — وكان قبل ذلك رجلا صالحا .. ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله !!

فقام أسيد بن حضير — وهو ابن عم سعد بن معاذ — فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتلنه ، فانك منافق تجادل عن المنافقين !!

فتثاور الحيـان الأوس والخزرج .. حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت ..

قالت : فمكثت يومى ذاك لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم .. قالت : فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما ، لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع ، يظنان أن البكاء فالق كبدى .. فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى ، فاستأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ..

قالت : فبينا نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس .. قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى !!

قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال : « أما بعد .. ياعائشة ، فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه ، فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه » ..

قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة .. فقلت لأبى : أجب رسول الله ﷺ فيما قال !!

قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ !!

فقلت لأمى : أجيبى رسول الله ﷺ !!

قالت : ما أدرى ما أقول لرسول ﷺ !!

فقلت — وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن — : انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصـــدقتم به .. فلئن قلت لكم انى بريئة ، والله يعلم أنى بريئة لا تصدقونى بذلك .. ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقننى .. والله ما أجد لكم الا قول أبى يوسف قال : « **فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون** »(٢٣) .

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشى .. قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة ، وأن الله مبرئى ببراءتى ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحياً يتلى ، ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها !!

قالت : فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق .. وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه !!

---

(٢٣) يوسف : ١٨

قالت : فلما سرى عن رسول الله ﷺ .. سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : « ياعائشة ، أما الله عز وجل فقد برأك » ..

فقالت أمى : قومى اليه .. فقلت : والله لا أقوم اليه ، ولا أحمد الا الله عز وجل ..

وأنزل الله تعالى : « **ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء ، فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم . ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم** »[٢٤] ..

نزل وحى السماء بتبرئة عائشة رضى الله عنها من البهتان الذى قذفها به أهل النفاق « عبد الله بن أبى بن سلول » وجماعته .. ويحمل تحذيرا للمؤمنين عن الخوض فى أعراض المسلمين ..

يقول تعالى : ان الذين جاءوا بالكذب والبهتان جماعة منكم .. فلا تظنوا ما جاءوا به من الافك شرا لكم عند الله وعند الناس ، بل ذلك خير لكم عند الله وعند المؤمنين .. لكل واحد منهم جزاء ما اجترم من الاثم ، والذى تحمل معظم الاثم منهم ، وبدأ بالخوض فيه له عذاب عظيم يوم القيامة .. هلا حين سمعتم ما قاله أهل الافك فى عائشة ،

---

(٢٤) النور : ١١ — ٢٠

ظننتم بمن رمى — بضم الراء — بذلك منكم خيرا ؟ — فالمؤمن فيه من نور الايمان والعقل والدين ، ما يميز به الصحيح والقبيح ، والصادق والكاذب — هلا قلتم حين سمعتم ما سمعتم : هذا الذى سمعناه من رمى عائشة كذب وبهتان ؟ .. هلا جاء هؤلاء العصبة بأربعة يشهدون على مقالتهم فيها ؟ ! .. فاذ لم يأتوا بالشهداء على حقيقة ما رموها به فأولئك عند الله هم الكاذبون فيما جاءوا به من الافك ..

ولولا فضل الله عليكم — أيها الخائضون فى أمر عائشة — بتركه تعجيل عقوبتكم ، ورحمته اياكم بقبول توبتكم ، لمسكم عاجلا عذاب عظيم بسبب ما تكلمتم فيه من أمرها حين تلقيتم خبر الافك من أهله فقبلتموه على أنه حقيقة .. تتكلمون بألسنتكم بما لا علم لكم به ، ولا تعلمون حقيقة ما تروونه ، وتظنون أن روايتكم له وتلقيه سهل لا اثم عليكم فيه .. فى حين أن روايتكم له أمر عظيم عند الله ، لما فيه من ايذاء رسول الله — ﷺ — وايذاء زوجته .. هلا حين سمعتموه قلتم : ما يحل ولا ينبغى لنا أن نتكلم بهذا .. ننزهك يارب ، وبراءة اليك مما جاء به هؤلاء ، فهذا القول بهتان عظيم ..

ان الله — تعالى — ينهاكم ويذكركم بآى كتابه لئلا تعودوا لمثل فعلكم فى أمر عائشة أبدا ، ان كنتم تتعظون بعظات الله ، وتنتهون عما نهاكم عنه .. ويفصل — تعالى — لكم حججه ، وهو عليم بأفعالكم ، حكيم فى تدبير خلقه ..

ان الذين يحبون أن ينتشر الزنا ويظهر فى الذين صدقوا بالله ورسوله ، لهم عذاب وجيع فى الدنيا بالحد ، وفى الآخرة بعذاب جهنم ، والله — تعالى — يعلم كذب أهل الافك ، وأنتم لا تعلمون ذلك لأنكم لا تعلمون الغيب ، فلا تتحدثوا بما لا علم لكم به من الافك فتهلكوا ..

ولولا أن الله — تعالى — تفضل عليكم أيها الناس ورحمكم ، وأنه تعالى ذو رحمة بخلقه ، لهلكتم فيما أفضتم فيه ..

ثم يقول تعالى : **« يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولولا فضل**

الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء ، والله سميع عليم »(٢٥) .

أى : ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ، ولا تقتفوا آثاره باشاعتكم الفاحشة .. ومن يقتف آثار الشيطان فانه يأمر بالزنا والمنكر من القول .. ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم ، ما تطهر منكم أحد أبداً من دنس ذنوبه وشركه ، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقـه ، والله سميع لمـا تقولونه بأفواهكم ، عليم بكل أموركم ومحصيها عليكم ..

بقى أن نشير الى الخير الذى أصاب المسلمين فى هذه الحادثة .. فقد كشف الله بها أهل النفاق الذين خاضوا فى الافك وكانوا مستترين فى صفوف المؤمنين .. كما نزلت أحكام قذف المحصنات لتكون رادعا لمن يخوض فى الأعراض بالباطل ..

والمقصود .. أن الغيب لا يعلمه الا الله وحده .. « فهذه عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — الصديقة بنت الصديق ، وأحب نساء النبى اليه .. لم تعرف بافك الآفكين فى حقها ، حتى أخبرتها أم مسطح — بعد شهر كامل — والمدينة كلها ترجف بهذا الحديث !!

وهذا على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — أول من أسلم من الصبيان ، الذى لم يسجد لصنم قط .. ابن عم رسول الله ﷺ ، وخليفته فى فراشه عند الهجرة ، وصهر الرسول ، وأبو الشهداء .. لم تتضح له براءة أم المؤمنين ، فأشار بطلاقها فالنساء كثيرات !!

وهذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — خليفة رسول الله ﷺ ، وصاحبه وحبيبه ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار .. لم يدر كيف يدافع عن ابنته لدى زوجها ﷺ !!

بل .. هذا رسول الله ﷺ نفسه ، لبث عنه الوحى شهرا كاملا ، فلم يعرف براءة زوجه الحبيبة برغم المحنة الشديدة التى عاشها ،

---

(٢٥) النور : ٢١

فراح يستشير أسامة وعلياً ، ويسأل عنها بريرة .. حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات !!

فهل لقائل بعد هذا — مهما كان شأنه — أن يدعى العلم بالغيب ، أو أن حجابه قد كشف عنه » ؟ ! (٢٦)

وعن اياس بن سلمة قال : حدثنى أبى أنه كان مع النبى ﷺ .. اذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق .. ومعه مهرة له يبيعها ، فقال له : من أنت ؟ .. قال : « أنا نبى الله » قال : وما نبى الله ؟ .. قال : « رسول الله » .. قال الرجل : متى تقوم الساعة ؟

فقال ﷺ : « غيب ، ولا يعلم الغيب الا الله » ..

قال : متى تمطر السماء ؟

فقال ﷺ : « غيب ، ولا يعلم الغيب الا الله » ..

قال الرجل : ما فى بطن فرسى هذا ؟

فقال ﷺ : « غيب ، ولا يعلم الغيب الا الله » ..

قال : أرنى سيفك .. فأعطاه النبى ﷺ سيفه ، فهزه الرجل ثم رده اليه ..

فقال ﷺ : « أما انك لم تكن تستطيع الذى أردت » ..

يقول اياس : وكان الرجل قال : أذهب اليه فأسأله عن هذه الخصال ثم أضرب عنقه (٢٧) !!

وروى أن الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة — رجل من أهل البادية — جاء الى النبى ﷺ ، فسأله عن الساعة ووقتها .. وقال : ان أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتى حبلى ، فماذا تلد ؟ .. وقد علمت أين ولدت ، فبأى أرض أموت ؟

فأنزل الله تعالى : **« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت »**(٢٨) ..

---

(٢٦) من وصايا القرآن الكريم ، للمؤلف ، ص ٤٠٩

(٢٧) أسباب النزول ، للنيسابورى ، ص ٢٣٤

(٢٨) نفس المرجع السابق ، والآية من سورة لقمان : ٣٤

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن الا الله تعالى : لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله ، ولا يعلم ما فى غد الا الله ، ولا يعلم بأى أرض تموت الا الله ، ولا يعلم متى ينزل الغيث الا الله »(٢٩) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مستترا بأستار الكعبة .. فجاء ثلاثة أنفار كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم ، قرشى وختناه ثقفيان — أو ثقفى وختناه قرشيان — فتكلموا بكلام لم أفهمه .. فقال بعضهم : أترون أن الله سمع كلامنا ؟ فقال الآخر : اذا رفعنا أصواتنا سمع ، واذا لم نرفع لم يسمع .. وقال الآخر : ان سمع منه شيئا سمعه كله ..

قال : فذكرت ذلك للنبى ﷺ .. فنزل قوله تعالى : **« وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين »**(٣٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : تبارك الذى وسع علمه كل شىء .. انى لأسمع كلام خويلة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله ﷺ ، وهى تقول : يارسول الله ، أبلى شبابى ، ونثرت له بطنى .. حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى .. اللهم انى أشكو اليك .. فما برح حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات : **« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير »**(٣١) .

وفى رواية أنها قالت : « الحمد لله الذى توسع لسمع الأصوات

---

(٢٩) رواه البخارى .

(٣٠) أسباب النزول ، للنيسابورى ، مرجع سابق ص ٢٥٠ ، والآية من سورة فصلت : ٢٢ ، ٢٣

(٣١) المجادلة : ١

كلها .. جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ ، وأنا فى جانب البيت لا أدرى ما تقول »[٣٢] .

هذا رسول الله — ﷺ — لم يعلم — فى حديث اياس السابق — بموعد الساعة ، ولا نزول المطر ، ولا ما تحمل الفرس فى بطنها ، أو ما تحمل زوج الحارث بن عمرو .. انما أعلمه جبريل عليه السلام بنية اياس الذى كان ينوى قتله ..

وهذا عبد الله بن مسعود .. لم يسمع حديث القرشى والثقفيان الذى تكلموا به الى جوار الكعبة ..

وهذه عائشة — رضى الله عنها — لم تسمع حديث خويلة بنت ثعلبة التى جاءت تشكو زوجها بعد أن ظاهر منها الى رسول الله ﷺ .. والأمثلة فى ذلك كثيرة انما اقتصرنا على ذكر البعض منها خوفا من الاطالة واملال القارىء ..

« ان قضية الغيب من أخطر القضايا ، انها احدى قضايا التوحيد !!

ولقد حسمها الله تعالى بقوله : « **لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله** »[٣٣] .

ولم يترك الرسول ﷺ مناسبة الا وأوضح فيها أن أمر الغيب الى الله تعالى وحده .. فلا يعلم الغيب سواه ..

حضر ﷺ عرسا من الأعراس .. وتغنت جارية بمدحه فكان مما غنت أن قالت : « وفينا نبى يعلم ما فى غد » !!

وفى مثل هذه المناسبات يتساهل الناس عادة فيما يتغنى به المغنون ، ولا يلتفتون الى كل ما يقال ، فالمجال مجال فرح وأنس ..

ولكن الرسول ﷺ .. رأى بثاقب نظره فى غناء هذه الجارية ما يتعارض مع احدى الحقائق الاسلامية الكبرى ، فنهاها عن مثل هذا القول ..

---

(٣٢) رواهما النيسابورى فى أسباب النزول ص ٢٧٤

(٣٣) النمل : ٦٥

روى خالد بن ذكوان ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضى الله عنها قالت : جاء النبى ﷺ يدخل حين بنى على[٣٤] .. فجلس على فراشى كمجلسك[٣٥] .. فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر[٣٦] .. اذ قالت احداهن : « وفينا نبى يعلم ما فى غد » .. فقال ﷺ : « دعى هذه ، وقولى بالذى كنت تغنين به »[٣٧] .

وفى رواية لحماد بن سلمة أنه قال : « لا يعلم ما فى غد الا الله » ..

لقد حرص رسول الاسلام — ﷺ — على تصحيح العقيدة الاسلامية فى مسألة الغيب ، ولو فى أغنية من الأغنيات ، فما كادت الجارية تنسب اليه — ﷺ — شيئا من علم الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هذا القول : « فلا يعلم ما فى غد الا الله » .. وطلب اليها أن تعود الى ما كانت تتغنى به من ذكر أوصاف البطولة والفداء ..

فما بالنا نرى الناس — فى هذه الأيام — يتساهلون فى هذه المسألة الخطيرة ، وينسبون علم الغيب لكل من هب ودب ، من أولياء ، وكهنة ، وسحرة ، ومنجمون » ؟ ![٣٨]

وصدق الله العظيم حيث يقول : « **وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون** »[٣٩] .

● والجن أيضا لا يعلمون الغيب .. يقول تعالى : « **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داوود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور . فلما**

---

(٣٤) أى حين تزوجت من اياس بن بكير الليثى .

(٣٥) الخطاب لخالد بن ذكوان راوى الحديث .

(٣٦) أى يعددن محاسنهم .

(٣٧) رواه أحمد والبخارى والبيهقى والترمذى .

(٣٨) من وصايا القرآن الكريم ، للمؤلف ، ص ٤٩٢

(٣٩) يوسف : ١٠٦

قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين »(٤٠) .

يقول تعالى : وسخرنا لسليمان الريح ، تغدو من الصباح الى انتصاف النهار مسيرة شهر ، وترجع من انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر ، وأذبنا له عين النحاس وأجريناها له .. ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره ، فيعمل بين يديه ما يأمره به ، بتسخير الله ذلك له ، ومن يعدل من الجن عن أمرنا الذى أمرناه به من طاعة سليمان نذقه نار جهنم الموقدة .. يعمل الجن لسليمان ما يشاء من القصور الشامخة ، والأبنية الرفيعة ، ويعملون له التماثيل من النحاس والزجاج ، وينحتون له ما يشاء من أحواض المـاء ، وقدور ثابتات لا يحركن لعظمهن .. وقلنا لهم : اعملوا بطاعة الله ياآل داوود ، شكرا له على ما أنعم عليكم ، وقليل من عبادى الذين يخلصون فى توحيدى وطاعتى ، وشكرى على نعمتى ..

فلما حكمنا على سليمان بالموت غمات .. لم يدل الجن على موته الا الأرضة ، تأكل عصاه التى كان متكئا عليها ، فلما سقط سليمان على الأرض — بانكسار العصـا — تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، اذ لو كانوا يعلمون الغيب لمـا مكثوا فى العذاب المذل حولا كاملا بعد موت سليمان !!

ولنا أن نتسـاءل .. هل لو كان الجن يعلمون الغيب ، أكانوا يستمرون فى عملهم الشاق فى بناء المحاريب بين يدى سليمان وهو ميت .. ثم لا يدلهم على موته الا الأرضة بعد أن أكلت عصاه فخر ساقطا ؟ !

الحق .. أن الملائكة لا يعلمون الغيب ..

كما أن الأنبيـاء بدورهم لا يعلمون من الغيب الا بالقدر الذى ارتضاه الله لهم وأوحاه اليهم ..

---

(٤٠) سبأ : ١٢ — ١٤

والجن كذلك .. لا يعلمون الغيب ، فلا يعلم الغيب الا الله وحده ..

فما بالنا نرى الصوفية ينسبون لأنفسهم من خوارق العادات ما لم يأت به الأنبياء والمرسلون ، ولم يتأت لملك أو جنى ؟ !

ما بالنا نراهم يزعمون العلم بالغيب ، وأن حجابه قد كشف عن شيوخهم ، فيشركونهم بهذا الزعم فى خاصية هى لله تعالى وحده ؟ !

لقد أسس الصوفية عقيدتهم على هذا الادعاء ، وأعرضوا عن الدليل الشرعى المستند الى الكتاب والسنة ، وعن طريق هذا الادعاء شككوا الناس فى مصادر الشرع .. بل وأنكروا بعض الأحاديث النبوية الثابتة فى الكتب الصحيحة ، وأولوا بعضها الآخر وفقا لأهوائهم !!

* * *

● **مزاعم .. وأباطيل !!**

يقول أبو يزيد البسطامى : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت » !!

ويعنى بذلك أن المسلمين قد أخذوا علمهم عن رسول الله ﷺ الذى أخذه بدوره عن جبريل عليه السلام .. فى حين أن الصوفية يأخذون علمهم عن الله مباشرة !!

وفى عقيدة الصوفية .. أنهم يرون الله تعالى فى صحوهم وفى منامهم .. فيتحدث اليهم ويتحدثون اليه .. يقول البسطامى : « رأيت رب العزة فى المنام فقال لى : كل النـــاس يطلبون منى ، غير أنك تطلبنى » !!

سبحانك ربى ، هذا بهتان عظيم !!

فهذا موسى — عليه السلام — نبى الله وكليمه .. مع ما أوتى من منزلة عالية ، ومرتبة سنية .. لمـا سمع خطاب الله تعالى سأله رفع الحجاب .. فأنبأه تعالى بأنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى ، لأن الجبل نفسه الذى وقف عليه ، والذى هو أقوى وأكبر ذاتا ، وأشد ثباتا من الانسان ، لا يثبت عند التجلى من الله الرحمن ..

يقول تعالى : « **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين** »(٤١) .

أى : ولما جاء موسى للوقت الذى وعده الله أن يلقاه فيه ، وناجاه ربه ، قال موسى لربه : يارب أرنى نفسك لأنظر اليك !! ، قال الله مجيبا له : لن ترانى فى الدنيا ، ولكن انظر الى الجبل ، فانه أكبر منك وأشد ، فان ثبت مكانه فسوف ترانى .. فلما اطلع الرب الجبل صار الجبل ترابا مستويا بالأرض — وما تجلى منه تعالى على قول ابن عباس الا قدر الخنصر — وسقط موسى عليه السلام مغشيا عليه ، فلما أفاق من غشيته قال : أنزهك يارب أن يراك أحد فى الدنيا ، تبت اليك من سؤالى لك الرؤية ، وأنا أول المؤمنين من بنى اسرائيل ..

تجلى تعالى بعظمته للجبل ، فلم يتمالك وأقبل فدك على أوله ، ورأى موسى عليه السلام ما يصنع الجبل فخر صعقا .

وهذا محمد — ﷺ — رفعه الله الى أعلا سماء ، ولكنه لم يره ..

عن أبى موسى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « حجابه النور — وفى رواية : النار — لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه — أى أنوار وجهه — ما انتهى اليه بصره من خلقه »(٤٢) .

وقال ابن عباس — رضى الله عنهما — فى قوله تعالى : « **لا تدركه الأبصار** »(٤٣) « ذاك نوره الذى هو نوره .. اذا تجلى لشىء لا يقوم له شىء » ..

وعن مسروق رضى الله عنه قال : كنت متكئا عند عائشة — رضى الله عنها — فقالت : يا أبا عائشة ، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية .. قلت : ما هن يا أم المؤمنين ؟ قالت : من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ..

---

(٤١) الأعراف : ١٤٣ (٤٢) متفق عليه .

(٤٣) الأنعام : ١٠٣

قال : وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين ، أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : « **ولقد رآه بالأفق المبين** »(٤٤) ، ويقول : « **ولقد رآه نزلة أخرى** »(٤٥) ؟

قالت : أو لم تسمع أن الله تعالى يقول : « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** » ؟ .. أو لم تسمع أن الله تعالى يقول : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء ، انه على حكيم** »(٤٦) ؟

قالت : ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته** »(٤٧) ..

قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : « **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله** »(*) ..

وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنهما قال : سألت رسول الله ﷺ : هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور .. أنى أراه » ؟ !

وقيل في تفسير قوله تعالى : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** »(٤٨) : أنه رأى فيما رأى من آيات الله وعجائبه العظمى : جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى في صورته ، له ستمائة جناح » .. وقد جعل الله ما عاينه الرسول ﷺ ليلة الاسراء من العجائب امتحانا واختبارا للناس ، يزداد به ايمان المؤمن ، وكفر الكافر ..

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ..

والرؤية — ولو في المنام — تقتضي التجسيم والتشبيه .. فكيف يرى الصوفية الله تعالى ؟ ، وعلى أي صورة يرونه فيها ؟ ، وبأي لسان يخاطبهم وأي وحي ينزله عليهم ؟ !

---

(٤٤) التكوير : ٢٣ (٤٥) النجم : ١٣
(٤٦) الشورى : ٥١ (٤٧) المائدة : ٦٧
(*) النمل : ٦٥ ، والحديث رواه مسلم .
(٤٨) النجم : ١٨

ان الرؤيا فى أغلب أحوالها انعكاس لما يعتمل فى أعماق النفس البشرية من أفكار وخيالات .. ثم تطفو حال النوم بحسب تصور الرائى واعتقاده .. فهم انما يرون أعماق نفوسهم وخيالاتهم وأوهامهم .. فما رأوا الله ولا تحدث اليهم ، ولكنه الشيطان يسول لهم ، ويضلهم ويعمى أبصارهم !!

موسى عليه السلام .. لم ير الله تعالى يوم طلب الرؤية بل خر مغشيا عليه وهو يرى كيف صار الجبل عندما تجلى الله له ..

ومحمد ﷺ .. لم ير ربه ليلة أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا ثم عرج به الى ما فوق السموات العلا ..

ولكن البسطامى يزعم أنه رأى رب العزة فى المنام وقال له : كل الناس يطلبون منى ، غير أنك تطلبنى !!

وتحت زعم كشف الحجب عن شيوخهم .. يدعون أنهم يرون رسول الله ﷺ يقظة ومناما .. فيتلقون منه ما يعينهم على تأويل الأحاديث ، أو التمييز بين الصحيح منها والضعيف !!

يقول محيى الدين بن عربى — فى الفتوحات المكية — : «ورب حديث يكون صحيحا عن طريق رواية حصل لهذا الكاشف الذى عاين هذا المظهر فسأل النبى ﷺ عن هذا الحديث فأنكره .. وقال له : لم أقله ولا حكمت به ، فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه .. وان كان عمل به أهل النقل لصحة طريقه ، وهو فى نفس الأمر ليس كذلك » !!

وعلى هذا .. يقسمون الدين الى شريعة وحقيقة ، وظاهر وباطن !!

وأهل الشريعة — عندهم — ومن بينهم علماء المذاهب الأربعة وفقهاء الشرع وعلماء الحديث ، هم أهل الظاهر !! ، وعلى هذا يعتبرونهم طبقة العوام لايمانهم بالنصوص الشرعية دون اللجوء الى التأويل !!

أما أهل الحقيقة — فى زعمهم — فهم أهل الباطن ، وهم الخاصة الذين يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية عن طريق الكشف والخواطر والأحلام !!

يقول الجنيد : « لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علمـــاء الرسوم — أى الشريعة — بأنه زنديق ، لأن أحوالهم وراء النقل والعقل » !!

ويقول : « أحب للمبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج .. وأحب للصوفى ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه » !!

ولهذا يعتقدون — كما قدمنا — أن القرآن ظاهرا وباطنا .. وأن فى كل آية منه ، وفى كل كلمة ، بل وفى كل حرف معنى باطنى لا يكشفه الله الا للخاصة من عباده — وهم أهل الحقيقة — فتشرق معانيها فى قلوبهم أوقات وجدهم !!

ويروى ابن عربى فى هذا حديثا موضوعا عن الرسول ﷺ يقول : « ما من آية فى القرآن الا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع ، ولكل مرتبة من هـــذه المراتب رجال ، ولكل طائفة قطب ، وعلى ذلك القطب يدور ذلك الكشف » !!

ثم يعقب على ذلك بقوله : « وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحته » !!

وباسم هذا الكشف — الذى يدعونه — يعطون لأنفسهم الحق فى تأويل آيات الله تعالى وفقا لأهوائهم ، فتسمع أحدهم يقول : حدثنى قلبى عن ربى ... !!

وآخر يقول : رأيت رسول الله وحدثنى قال ... !!

ولهم فى ذلك أقوال مأثورة .. يقـــول قائلهم : أحسن الظن ولا تنتقد .. بل اعتقد !!

ويقـــول الآخر : من اعترض انطرد ووجد الباب مغلقا .. !! وهكذا ..

ويقول السهروردى فى كتابه « عوارف المعارف » : « كلام الشيخ بالحق من الحق ، فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحى .. فكما لا يخون جبريل فى الوحى ، لا يخون الشـــيخ فى

الالهام .. وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى ، فالشيخ لا يتكلم عن الهوى » !!

ويقول الشاذلى : « على المريد أن يعتصم بالشيخ ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء البحر بقائده .. بحيث يفوض أمره اليه بالكلية ، فلا ينازعه فى الأمر ولا يخالفه » !!

بل ان ذا النون المصرى يقول : « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه » !!

فلا عجب ، والأمر كذلك .. أن ينسبوا لشيوخهم من خوارق العادات ما لم يتأت لنبى أو لرسول !! فينسبون اليهم القدرة على التصرف فى أمور الناس ، يعطونهم ويمنعونهم . يحيون من يشاءون منهم ويميتون ، يسلبون الناس ايمانهم ويمنحونهم اياه ، يمشون على الماء ، ويطيرون فى الهواء ، ويحولون التراب ذهبا ، ويحيلون الناس مسوخا وحيوانات !!

فاذا كان لشيوخهم هذه القدرات المزعومة .. فماذا يمنع علمهم للغيب وانكشاف حجبه عنهم ؟ !

● يقول الشعرانى عن أبى العباس أحمد الملثم .. انه كان لا يخبر بشىء الا جاء كما قال .. وأنه كان يقول : أنا ما أتكلم باختيارى .. وحدث أن أنكر عليه بعض الفقهاء فقال له : يافقيه اشتغل بنفسك فانه ما بقى من عمرك سبعة أيام وتموت .. فكان كما قال[٤٩] !!

● ويقول سهل التسترى : « أعرف تلامذتى من يوم : « ألست بربكم »[٥٠] — يعنى وهم فى عالم الذر !! — وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شمالى ، ولم أزل من ذلك اليوم أرى تلاميذى وهم فى الأصلاب .. ولم يحجبوا عنى الى وقتى هذا » !!

وكان يقول : « أشهدنى الله تعالى ما فى العلا وأنا ابن ست سنين .. ونظرت فى اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين .. وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين .. ورأيت فى السبع المثانى حرفاً معجماً حار فيه الجن والانس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته ،

---

(٤٩) الطبقات الكبرى ، للشعرانى ، ج ١ ، ص ١٥٧

(٥٠) الأعراف : ١٧٢ .

وحركت ما سكن ، وسكنت ما تحرك باذن الله تعالى وأنا ابن أربعة عشرة سنة »[٥١] !!

● بل ان الشعرانى نفسه يزعم أنه استطاع رؤية الأولياء من الأحياء والأموات .. وأنه رآهم يمشون بأكفانهم ويزحفون لحضور مولد البدوى .. فيقول : « وأردت التخلف — عن المولد — سنة من السنين ، فرأيت سيدى أحمد ومعه جريدة خضراء ، وهو يدعو الناس من سائر الأقطار ، والناس خلفه ويمينه وشماله ، أمم وخلائق لا يحصون .. فمر على وأنا بمصر فقال : أما تذهب ؟ ، فقلت : بى وجع .. فقال : الوجع لا يمنع المحب !!

ثم أرانى خلقا كثيرا من الأولياء وغيرهم الأحياء والأموات ، من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد !!

ثم أرانى جماعة من الأسرى جاءوا من بلاد الافرنج ، مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم .. فقال : انظر الى هؤلاء فى هذا الحال ، ولا يتخلفون !!

فقوى عزمى على الحضور فقلت له : ان شاء الله تعالى نحضر . فقال : لابد من الترسيم عليك ، فرسم على سبعين عظيمين أسودين كالأفيال وقال : لا تفارقاه حتى تحضرا به !!

يقول الشعرانى : فأخبرت بذلك سيدى الشيخ محمد الشناوى ، فقال : سائر الأولياء يدعون الناس بقصادهم ، وسيدى أحمد يدعو الناس بنفسه الى الحضور .. ثم قال : ان سيدى الشيخ محمد السروى تخلف سنة عن الحضور ، فعاتبه سيدى أحمد وقال : موضع يحضر فيه رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم والأولياء رضى الله عنهم ، ما تحضره ؟ .. فخرج الشيخ محمد الى المولد فوجد الناس راجعين وفات الاجتماع ، فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه » !![٥٢]

---

(٥١) الطبقات الكبرى ج ١ ، ص ١٨٣

(٥٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٦

تأمل قوله : « ان رسول الله ﷺ ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه ، وأصحابهم والأولياء رضى الله عنهم » يحضرون الى مولد البدوى !!

ويبدو أن لهذا المولد خطراً عظيماً .. فان شخصا أنكر حضوره فسلب — كما يقول الشعرانى — الايمان .. انظر الى قوله : « ويروى أن شخصا أنكر حضور مولده ، فسلب الايمان .. فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام (!!) .. فاستغاث بسيدي أحمد فقال : بشرط أن لا تعود ؟ فقال : نعم .. فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له : وماذا تنكر علينا ؟ .. قال : اختلاط الرجال والنساء .. فقال : ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع أحد منه .. ثم قال : وعزة ربى ، ما عصى أحد فى مولدى الا وتاب وحسنت توبته ، واذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار وأحميهم من بعضهم بعضا .. أفيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى » !! (٥٣)

أى سخف .. وأى هراء !!

● وهذا اسماعيل الامبابى .. يزعم الشعرانى : « أن الله تعالى أجرى على يديه الكرامات ، وكلمته البهائم ، وكان يخبر أنه يرى اللوح المحفوظ ، ويقول : يقع كذا وكذا لفلان ، فيجيء الأمر كما قال !!

وأنكر عليه شخص من علماء المالكية وأفتى بتعزيره ، فبلغ ذلك الامبابى فقال : ومما رأيته فى اللوح المحفوظ ، أن هذا القاضى يغرق فى بحر الفرات .. فأرسله ملك مصر الى ملك الافرنج ليجادل القسيس عندهم ، فانه وعد باسلامه ان قطعهم عالم المسلمين بالحجة ، فلم يجدوا فى مصر أكثر كلاما وجدلا من هـذا القاضى ، فأرسلوه فغرق فى بحر الفرات » !! (٥٤)

● وهـذا داوود بن ماخلا : « كان شرطيا فى بيت الوالى بالاسكندرية .. وكان يجلس تجاه الوالى وبينهما اشارة يفهم منها وقوع المتهوم أو براءته .. فان أشار اليه أنه برىء عمل باشارته ، أو أنه فعل ما اتهم به عمل بذلك .. وكانت اشارته أنه ان قبض على لحيته

---

(٥٣) الطبقات الكبرى ج ١ ، ص ١٨٧

(٥٤) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٥

وجذبهـا الى صـدره علم أنه وقع ، وان جذبهـا الى فوق علم أنه برىء » !! (٥٥)

● وكان محمد الرويجل — كما يزعم الشـعرانى — من أرباب الكشف التام .. رآه الشـعرانى مرة بعد مرة من بعيد — نحو مائة قصبة — فقال له رفيقه : هل يحس بأحد اذا ضربه ، فلما وصلا اليه قال لرفيقه : تضربنى على ايش » ؟ !! (٥٦)

● كما كان ابراهيم العريان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا بأسمائهم كأنه تربى بينهم !!

وابراهيم العريان — هذا — كان يطلع على المنبر ويخطب عريانا ، فيقول : السلطان ودمياط ، باب اللوق بين القصرين ، وجامع طيلون ، الحمد لله رب العالمين .. فيحصل للناس بسط عظيم !!

وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر .. ثم يقول : هـذه ضرطة فلان ، ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه » !!(٥٧)

● أما محيسن البرلسى : « فكان — كما يزعم الشعرانى — من أصحاب الكشف التام ، فكان يربط عنده عنزاً وديكا ، ويجعل النار موقدة عنده فى أغلب أوقاته صيفا وشتاء .. وكان الخواص اذا شك فى نزول بلاء على أهل مصر يقول : اذهبوا للشيخ محيسن فانظروا النار التى عنده ، هل هى موقدة أو مطفية ؟ .. فان كانت مطفية حصل فى مصر رخاء ونعمة ، وكان الناس فى غاية الراحة .. فأوقد الشيخ محيسن النار فقال الشيخ : الله لا يبشره بخير .. فأصبح الناس فى شدة فى مسكهم لبلاد الهند ، وحصل لهم غاية الضيق » !!

ويقول الشعرانى : « وكنت عنده مرة .. فجاء انسان ومزح معه — وكانت فى رجله أكلة من أصحاب النوبة ، ولم تزل تدود الى أن مات —

---

(٥٥) الطبقات الكبرى ج ١ ، ص ١٨٨
(٥٦) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤١
(٥٧) نفس المرجع ج ٢ ص ١٤٢

فقال له ذلك الانسان : الذى جعل فى هـذه الرجل الأكلة قادر على أن يجعلها فى الأخرى • فقال الشيخ محيسن : ما يستحق ذلك الا الذى زنى بامرأة جاره •• فخجل ذلك الانسان فقلت له : مالك ؟ قال : هذا وقع لى وأنا شاب فى نواحى دمياط من خمسين سنة •• فقلت : الذى يطلع على هذا تمزح معه ؟ فقال : والله ما علم بهذه الواقعة الا الله عز وجل » !! (٥٨)

● وهذا على الخواص •• « كان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والاثبات •• فكان اذا قال قولا لابد أن يقع على الصفة التى قال !!

ويقول الشعرانى : وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم ، فما كان قط يوجههم الى كلام •• بل كان يخبر الشخص بواقعته التى أتى من أجلها قبل أن يتكلم ، فيقول : طلق — مثلا — أو شـارك ، أو فارق ، أو اصبر ، أو سافر ، أو لا تسافر •• فيتحير ويقـول : من أعلم هذا بأمرى » !!(٥٩)

● وهذا شعبان المجذوب •• « كان من أهل التصريف بمصر ، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل !!

ويقول الشعرانى : « أخبرنى سيدى على الخواص أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع فى كل سنة من رؤية هلالها •• فكان اذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبا على العباد !!

وكان اذا اطلع على موت البهائم يلبس صبيحة تلك الليلة جلد البهائم البقر أو الغنم ، أو تسخير الجمال لجهة السلطنة يلبس الشليف والليف •• فيقع الأمر كما نوه به » !!

وجاءت الى الشـعرانى امرأة من الريف تريد أن تفسخ نكاح ابنتها لكون زوجها غاب عنها مدة طويلة •• فباتت عنده من غير علمه •• فأرسل الشيخ شعبان نقيبه الى الشعرانى مع الفجر يقول له : يقول لك

---

(٥٨) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٤٣
(٥٩) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٠

الشيخ : لا تفرق بين رأسين فى الحلال • فعلم الشعرانى أن زوجها سيرجع ، فأخبر المرأة فرجعت عن ذلك ، وجاء الأمر كما قال !!

هذا •• والمرأة لم تخاطب الشعرانى بكلام •• وما علم بوجودها فى بيته •• بل كانت مضمرة فى نفسها أن تخبره بذلك بكرة النهار •• ولكن الشيخ شعبان علم بخاطرها !! (٦٠)

فاذا كانت هذه هى أفكار القوم وتصوراتهم •• فلا عجب اذن أن يقول أبو يزيد البسطامى : « قلت يوما سبحان الله ، فنادانى الخالق فى سرى : هل فى عيب تنزهنى عنه ؟ قلت : لا يارب •• قال : فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل ، فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل ، وتحلت بالفضائل •• فصرت أقول : « سبحانى سبحانى ، ما أعظم شأنى ، الجنة لعبة صبيان » !!

* * *

هذا هو زعم الصوفية لشيوخها وأقطابها •• فى حين أن الله تعالى يقول لرسوله ﷺ : **« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون »**(٦١) .

ويقول على لسان نوح عليه السلام : **« ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك »**(٦٢) .

نوح عليه السلام — أول الأنبياء •• لا يعلم الغيب ••

ومحمد ﷺ — خاتم الأنبياء •• لا يعلم الغيب ••

وجميع الرسل والأنبياء •• لا يعلمون الغيب ••

والملائكة ، والانس ، والجن •• لا يعلمون الغيب ••

ولكن شيوخهم — من دون الخلق جميعا — يعلمون الغيب بعد أن انكشفت حجبه عنهم !!

ألا من له أذنان للسمع فليسمع ، ومن له عقل للتدبر فليتدبر !!

* * *

---

(٦٠) الطبقات الكبرى ج ٢ ، ص ١٨٥

(٦١) الأعراف : ١٨٨ (٦٢) هود : ٣١